القسم الثانى : الجمال فى الإسلام

(أ) أنواع الجمال:

- الجمال الموهوب
- الجمال المكتسب المعنوى
- الجمال المكتسب المادى
- الجمال الكونى
- جمال الفردوس

(ب) التعبير الجمالى:

- الغناء والتمثيل والرقص
- الشعر
- النحت والتصوير والرسم

(جـ) المظهر الجمالى:

- الملابس آية من آيات الله
- أزياء النبى ﷺ
- لباس الرجال
- ملابس المرأة المسلمة
- لباس الحرير
- خاتم الذهب والمعادن

(د) حماية الجمال

obeikandl.com

obeikandl.com

أنواع الجمال

- الجمال الموهوب
- الجمال المكتسب المعنوى
- الجمال المكتسب المادى
- الجمال الكونى
- جمال الفردوس

obeikandl.com

obeikandl.com

الجمال الموهوب

الجمال الإنسانى قسمان: جمال موهوب، وجمال مكتسب.

والجمال الموهوب هو منحة إلهية لمن يشاء من عباده رجالاً أو نساء، وهو يقوم على لون خاص للبشرة، واعتبار لتقاسيم معينة لأعضاء الجسم..

وهذا الجمال الموهوب نسبى فى كماله يخضع لمقاييس متعددة، فما يروق لشخص قد لايرتضيه شخص آخر، فهل جمال المرأة فى سمنتها أونحافتها؟!.. لكن هناك قدر مشترك يلتقى عليه معظم الناس..

وهذا الجمال الموهوب قد يكون فتنة وابتلاء للجميل نفسه أو لمن يتذوق الجمال، وقد حكى القرآن المجيد مواقف النسوة من يوسف عليه السلام الذى منحه الله تعالى شطر الجمال فافتتنت به امرأة العزيز وراودته عن نفسه فردها ردًا بليغًا: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (يوسف: ٢٣) وعندما أرادته لنفسها قهرًا وحاصرته حصارًا استطاع أن يفلت من هذا الحصار بقوة إيمانه وحسن وفائه، ودفعها عن نفسه وخرج مهرولاً نحو الباب.. قال تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ (يوسف: ٢٥-٢٦)، فالمرأة أحيانًا تبكى وهى الظالمة، والتهم قد تلفق للأبرياء الطاهرين..

وشاء الله تعالى أن يكون مع العزيز رجل من أهل هذه المرأة له حكمة وخبرة وصدق وبديهة، فاقترح حلا منصفًا حكاه القرآن المجيد فى قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (يوسف: ٢٦-٢٧) وقبل هذا الحل وبدأ التحقيق، وظهرت براءة يوسف وطهارته، وعلمت خيانة المرأة وخطيئتها وماكان من الزوج المغلوب على أمره إلا الصفح والستر.. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ۝٢٩﴾ (يوسف: ٢٨-٢٩)

وشاع الخبر وتحدث نسوة المدينة عن امرأة العزيز وأنكرن عليها هذا الحب القاتل، وهذا الهيام البالغ بعبدها وفتاها فأصرت المرأة على أن تضع هؤلاء النسوة موضع الاختبار، ودعتهن إلى منزلها حتى يرين ما رأت من حسن يوسف ويقعن فيما وقعت فيه.. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ (يوسف: ٣١) وهنا أعلنت المرأة عن

غريزتها المتأججة وخرجت عن كل حياء يعرف فى عالم النساء ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (يوسف: ٣٢).

واستحكمت حلقات الحصار حول يوسف عليه السلام فلجأ إلى ربه ضارعًا: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ (يوسف: ٣٣-٣٤) وإذا كانت هذه القصة عن رجل أعطى شطر الحسن فافتتن به النساء فإن رسول الله ﷺ قد جعل من السبعة الذين يحظون بالكرامة والمنزلة الرفيعة يوم القيامة رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله رب العالمين.

وهكذا فالجمال الموهوب قد يكون فتنة وابتلاء ويحتاج إلى لطف الله فى الحفاظ عليه ومقاومة الإغراء به والسيطرة على آثاره.. وإذا كان فى ظلال الدين والأخلاق فهو خير.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٢١)

ومع ذلك فإن هذا الجمال الموهوب لا يستمر طويلاً ولا يمكث كثيرًا فإنه ينفلت سريعًا مع لفحة برد أو ضربة شمس أو هجمة مرض، فإن لم يكن هذا ولا ذاك فإن الإنسان يمر بمراحل تصل به إلى الشيخوخة والهرم، ويودع فيها الجمال بمقاييسه المختلفة ومعاييره المتعددة ولا يبقى إلا جمال الروح التى تتلألأ بذكر الله وتشرق بنور الله..

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الزمر: ٢٢)

الجمال المكتسب المعنوى

الجمال الإنسانى المكتسب نوعان:

جمال معنوى يرتبط بالقيم والأخلاق والأدب والدين. وجمال مادى يرتبط بالنظافة وحسن الهيئة وطيب الرائحة. فالإنسان المتدين ذو الخلق الكريم هو فى قمة الجمال المعنوى، وله جاذبية خاصة لدى أصحاب الوجدان النقى، والأرواح الطاهرة مهما كان شكله وتقاسيم أعضاء جسمه..

وعلى سبيل المثال فإن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه كان رجلاً نحيفًا قصيرًا شديد الأدمة أخمش القدمين..

وقد أحبه رسول الله ﷺ وأكرمه مع أمه أم عبد من بنى زهرة، حتى قال أبو موسى الأشعرى: قدمت أنا وأخى من اليمن فمكثنا حينا وما نحسب أن ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبى ﷺ لكثرة دخولهم وخروجهم عليه.

وكان ابن مسعود صاحب سواد رسول الله أى سره، ووساده أى فراشه، ونعليه وطهوره.. وكان أقرأ الصحابة للقرآن الكريم، وفى حديث أخرجه الحاكم أن رسول الله ﷺ مرّ بين أبى بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلى، فافتتح سورة النساء، فقال ﷺ: (من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد)، فأخذ عبدالله فى

الدعاء، فجعل رسول الله ﷺ يقول: (سل تعط)، فكان فيما سأل: اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد، ونعيما لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد، فأتى عمر عبد الله يبشره فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه فقال: إنك لسباق بالخير..

هذا الجمال المعنوي ارتبط بالدين والولاء للقرآن وصدق المتابعة لرسول الله ﷺ ولا علاقة له بقوة البدن ونضارة الوجه وحسن القامة وما إلى ذلك من أمور مادية.

وتسوق الروايات أن رسول الله ﷺ أمر ابن مسعود فصعد شجرة يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة[1] ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: (ما تضحكون؟ لرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد).

وكانت هناك جارية حبشية قد لا يتوافر لها الجمال الحسي لكنها حظيت في الإسلام بمكانة رفيعة.. إنها أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، كان رسول الله ﷺ يقول عنها: (أم أيمن بعد أمي) وكان يزورها في بيتها، واهتم الرسول الكريم ﷺ بها حتى إنه زوجها زيد ابن حارثة الذي تبناه حتى نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥)

(١) في المعجم الوسيط: حَمُشَتْ النوائم أي دَقَّتْ

ولدت منه أسامة بن زيد الذى وصف بأنه حب رسول الله ﷺ ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى بكت أم أيمن بكاءً شديدًا، فقيل لها ما يبكيك على رسول الله؟ فقالت: إنى علمت أن النبى ﷺ سيموت ولكنى أبكى على الوحى الذى رفع عنا.

وظل أبو بكر الصديق وعمر الفاروق يزوران أم أيمن كما كان يزورها الرسول الكريم ﷺ إلى أن توفيت بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بخمسة أشهر..

فالجمال المعنوى القائم على حسن الخلق وصدق الإيمان وكرم المعاملة هو الأبقى والأعظم مهما كان الإنسان أسود أو أبيض، غنيًا أوفقيرًا، عبدًا أوسيدًا.. ورحم الله عمر بن الخطاب حين قال: أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا، يعنى بلالاً الحبشي.

الجمال المكتسب المادى

يحرص الإسلام على الجمال المكتسب المادى ليس بالمفهوم القائم على تقاسيم الوجه وتناسب الأعضاء وحركة الجسم وإنما بمعنى الطهر والنظافة وحسن الهيئة وطيب الرائحة..

وهذا هو المأمور به شرعًا فى قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ (الأعراف: ٣١)

والزينة نوعان:

واجبة وهى: ستر العورة، وإزالة النجاسة من البدن والثوب، والمكان، والقيام بالغسل والوضوء..

ومندوبة وهى: السواك والطيب وكمال الهيئة والبعد عن الروائح الكريهة والأغسال المسنونة للجمع والأعياد، ومجالس العلم ومخالطة الناس.

وعورة الرجل ما بين السرة والركبة وعورة المرأة جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين بالصورة التى خلقهما الله عليها من غير افتعال فى لفت النظر إليهما. قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ (الأحزاب: ٥٩)، فالمرأة المسلمة الملتزمة بزيها الإسلامى الوقور تعرف بين الناس بالعفاف والقيم فلا يتعرض لها الفساق الذين يصابون بالخجل عند النظر إليها فيحترمون شخصيتها..

أما المرأة السافرة فتغرى السفهاء بالاعتداء عليها قولاً أو فعلاً، وتدعو الغرائز الطائشة أن تتعقبها، وتفسح المجال للشائعات حولها..

ويطالب المسلم شرعًا بإزالة النجاسة من بدنه وثوبه ومكانه، فالاستنجاء واجب للصلاة وطهارة الثوب والمكان شرط لصحة الصلاة، وقد شرع الله للحفاظ على هذه الزينة الواجبة الغسل من الحدث الأكبر، والوضوء من الحدث الأصغر، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ (المائدة: ٦)

وفى إطار الزينة المندوبة جاء الحث الشرعى على السواك فى مثل قوله ﷺ: (لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) (رواه البخارى).

وجـاء الحث على غسـل الجمعة فى مثـل قوله ﷺ : (من جاء منكم الجمعة فليغتسل) (رواه البخارى).

(حق الله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده). وجاء النهى عن الروائح الكريهة فى مثل قوله ﷺ: (من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا) (رواه البخارى)، وفى غزوة خيبر كان الناس جياعًا فوقعوا على شجرة الثوم فأكلوا منها أكلاً شديدًا ثم راحوا المسجد فوجد رسول الله ﷺ الريح فقال: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئًا فلا يقربنا فى المسجد) فقال الناس حُرمت، حُرمت فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: (أيها الناس إنه ليس لى تحريم ما أحل الله لى ولكنها شجرة أكره ريحها) (رواه مسلم).

والإسلام يحرص على الجمال المعنوى والمادى، ويفرق بين الجمال والكبر، فيجعل الجمال محمودًا والكبر مذمومًا..

وذات يوم قال الرسول ﷺ لأصحابه: (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل: يا رسول الله: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسن، قال ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس) (متفق عليه).

ومعنى بطر الحق: رده والاستكبار عليه. وغمط الناس: احتقارهم.

ونقرأ فى الأنعام قول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ (النحل: ٥-٨)

ونقرأ فى الدواب عامة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ۖ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٥﴾ (النور: ٤٥)

ويتواصل الجمال الكونى، فتنقلنا آيات القرآن المجيد من جمال الأرض وما عليها إلى جمال السماء وما فيها، فتتحدث عن زينة الكواكب وعن السقف المحفوظ وعن الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك.. وعلى سبيل المثال نقرأ قول الله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ۚ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٩٧﴾ (الأنعام: ٩٦-٩٧)، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ (الفرقان: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ (الصافات: ٦).

فهـذه كلها لوحات جمالية فريدة، تشـد الـروح والعقل والقلب والنفس إلى آفاق عليا من التأمل الراقى والتذوق الفنى البديع..

وهـى لوحات جمالية غير منفصلة بل يكمن جمالها فى تناسـقها وتكاملها مع ما يحيط بها. وما يلامسها وما ينشأ عنها..

وهـى لوحات جمالية يظل عطاء جمالها موصولاً من غير انقطاع، وعلى مدى الأجيال تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (فصلت: ٥٣)

جمال الفردوس

إن التذوق الجمالى فى الدنيا والانتفاع بالجمال المادى يعم الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، فزينة الدنيا فى ملبسها ومأكلها ومشربها ومأواها، وجمال المنظر فى السماء والأرض يستشعره كل إنسان..

لكن المؤمن يخصه الله تعالى بنعيم لا ينفد وقرة عين لا تنقطع فى الفردوس والجنان، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

(الأعراف: ٣٢)

والمعنى أن الزينة والطيبات فى الدنيا للمؤمنين وغيرهم لكنها وقف على المؤمنين فى الآخرة لا يشركهم فيها غيرهم.

والجنة ميراث المؤمنين تتميز بكل ألوان الجمال المحسوس والمعنوى مما لا يدخل فى إطار التصور الإنسانى من قبل.

وعلى سبيل المثال فأنهار الجنة قال عنها القرآن المجيد: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ

مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ (محمد: ١٥)

وملابس أهل الجنة وصفت هكذا: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (الكهف: ٣١)، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ (الحج: ٢٣) ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ (الإنسان: ٢١) ونساء أهل الجنة وصفن على النحو التالي: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ (الصافات: ٤٨-٤٩) ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٧٦﴾﴾ (الرحمن: ٥٦-٥٨) ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ (الواقعة: ٢٢-٢٣)

وإقامة أهل الجنة وخدمتهم وصفت كما يلي: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿١٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿١٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الصافات: ٤٣-٤٦) ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزمر: ٧٣) ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا

﴿رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

(الإنسان: ١٣-٢٠).

وهذا النعيم المحسوس يعلوه نعيم آخر أسمى وأجل هو الرضوان والود.. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ (التوبة: ٧٢) وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ (مريم: ٩٦)، وهذا الرضوان الإلهى والود الرحمانى ساقه الرسول ﷺ فى بيان رفيع على هيئة حوار بين المولى جل شأنه وأهل الجنة هكذا: ففى الحديث المتفق عليه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك" فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا).

فالجمال فى عقيدة المسلم واسع وعميق وممتد، وهو وسيلة قربى إلى الله عز وجل وعاقبة جزاء وثواب من المولى جل شأنه..

obeikandl.com

التعبير الجمالى

- الغناء والتمثيل والرقص
- الشعر
- النحت والتصوير والرسم

obeikandl.com

obeikandl.com

الغناء والتمثيل والرقص

التذوق الجمالى قد يعبر عن نفسه بالكلمة أو الحركة أو الريشة والآلة.. والتعبير بالكلمة يشمل الشعر والغناء.. والتعبير بالحركة يترجم إلى الرقص والتمثيل.. والتعبير بالريشة والآلة يظهر فى النحت والتصوير والرسم..

ولذا فنحن فى حاجة إلى بيان موقف الإسلام من هذه التعبيرات المختلفة.

الغنـــاء

فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرنى وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال: (دعهما، ولما غفل غمزتهما فخرجتا).

نحن هنا أمام موقف من مواقف بيت النبوة: لقد دخل الرسول بيته يوم العيد فوجد زوجه أم المؤمنين عائشة تستمع لغناء جاريتين تغنيان بإنشاد شعر قيل يوم بعاث، وهو اسم حصن للأوس وقعت الحرب عنده بينهم وبين الخزرج، وايتعمرت المعركة مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام فألف الله بينهم ببركة النبى ﷺ.. وفى بعض

الروايات للحديث أنه كان مع الجاريتين دف كما فى مسلم أو دفان كما فى النسائى.

فلما رأى النبى ﷺ ذلك لم ينكره على عائشة رضى الله عنها، بل اضطجع وحوّل وجهه، لأن مقامه يجلّ عن الإصغاء لذلك.. وبعد فترة دخل الصديق فانتهر ابنته لتقريرها الغناء فى حضرة الرسول الكريم، وظن أنه ﷺ نائم فقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله؟!.

والمزمارة والمزمار مشتق من الزمير وهو الصوت الذى له صفير، ويطلق على الصوت الحسن وعلى الغناء، وأضافها للشيطان لأنها تلهى القلب عن ذكر الله تعالى.

هنا أقبل عليه رسول الله ﷺ فقال له: (دعهما) أى: الجاريتين. وفى رواية (دعها) أى: عائشة، ثم بين له الحكمة فقال: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا. أى إنه يوم سرور شرعى فلا ينكر فيه مثل هذا القدر من اللهو المباح.

وقريب من هذا المعنى ما جاء فى الصحيح أيضًا أن عائشة رضى الله عنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبى الله ﷺ: (يا عائشة، ما كان معكم من لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟) وفى رواية: (فهلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغنى؟) قالت عائشة: ماذا تقول؟ قال ﷺ تقول:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الحنطة السمرا ما سمنت فتاياكم

وفى رواية أخرى:

لولا الذهـــب الأحمر ما حلت بواديـــكم

ولولا الحنطة السـمرا ما سـمنت عذاريكـم

ومـن الأمثلة التى يسـوقها المحدثون على رفق رسـول الله ﷺ وحسـن عشرته ما جاء فى الصحيح أنه كان للرسول الكريم حـداد حسـن الصوت يقال له (أنجشـة) وكان يسـوق إبلا عليها نسـوة رسـول الله ﷺ وهو يحدو وينشد شيئًا من القريض والرجز وما فيه تشبيب، فقال ﷺ: (يا أنجشة، رويدك سوقًا بالقوارير).

فسمى النساء (قوارير) لضعف عزائمهن، تشبيهًا بقارورة الزجاج، لضعفها وسـرعة انكسـارها. والمعنى أنه لم يأمن أن يفتنهن ويقع فى قلوبهن حداؤه، فأمر بالكف عن ذلك.

وقد اختلف العلماء فى حكم الغناء ما بين محل ومحرم. وخلاصة القول فى هذا المجال أن الغناء بمعنى الصوت الحسـن لرجل أو امرأة مـن المباحات فى الأصل، ومن اللهو البرئ، وبحيث يظل فى حدود القـدر المعقول، ولكن الحرمة تكمن فـى فحش القول أو إثارة الغرائز أو إظهار المفاتن أو مصاحبة خمر ومجون.. أو إسـراف بحيث يتخذه ديدنه ويقصر عليه أكثر أوقاته.

ويسـوق الإمام الغزالى فى إحيائه تشبيهًا على إباحة القليل من الغناء دون الكثير، فيقول: (واسـتحسـان ذلك فيما بين تضاعيف الخد كاسـتحسـان الخال[1]

(١) الخال: هو النقطة السوداء على صفحة الخد.

على الخد، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته، فما أقبح ذلك، فيعود الحسن قبحًا بسبب الكثرة، فما كل حسن يحسن كثيره، ولاكل مباح يباح كثيره).

هذا، وليكن معلومًا أن واقع الغناء المعاصر قائم على الدنس والابتذال، وهو معول هدم للقيم، وتفتيت لبناء المجتمع بوسائل الرقص الفاضح، والغناء الماجن، والصور العارية، والتمثيل المحموم.. وهذا ما لا يمكن أن يقره العقل الراشد، فضلاً عن الدين الخالد.

ومن هنا يعلم أن ممارسة المرأة للرقص الشرقي أو فن الباليه أوقيام المرأة بتمثيل دور الأم أو الزوجة أو البنت أو الأخت أو الصديقة أمام الرجال الأجانب وبحيث يتعامل مع الأجنبي على أنها أمه أوزوجته.. الخ. هذه المواقف مرفوضة شرعا وتتنافى مع قيم الإسلام الحنيف، تلك القيم التي تعتز بالحياء وتصون كرامة المرأة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (النور: ٣١) نهى شرعي عن كل أنواع الرقص أمام الأجانب لأن الرقص كله قائم على ضربة الرِّجْل ليهتز البدن كله بأشكال مريبة وأوضاع مثيرة..

أما ممارسة الرجال لبعض الألعاب التي لا تخل بالمروءة ولاتخدش الحياء فمن الجائزات الشرعية والمباحات الدينية ويمكن مشاهدتها للرجال وللنساء على سواء.

وتحكي السيدة عائشة رضي الله عنها - كما في صحيح مسلم- قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي ﷺ

فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم.

أي إن الرسول الكريم دعا زوجه السيدة عائشة لمشاهدة لعب الحبشة بحرابهم في المسجد على قريب من هيئة الرقص، فمعنى يزفنون (يرقصون) وكانت السيدة عائشة حريصة على هذه المشاهدة حتى قالت في رواية أخرى، رأيت رسول الله يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية فاخدروا خدر الجارية حديثة السن.

والمعنى أنها لحداثة سنها تحب اللعب والنظر إلى اللاعبين حبًا بليغًا، وتحرص عليه ولا تمل منه إلا بعذر من تطويل.

ومما يؤكد هذا التقرير من رسول الله ﷺ ما ورد في رواية مسلم قال: بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها فقال له ﷺ: دعهم يا عمر.

الشعر

جاء في صحيح الحديث عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: رَدفتُ رسول الله ﷺ يومًا فقال: (هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم. قال: (هيه) (وهي كلمة استزادة من الكلام) ثم أنشدته بيتًا فقال: (هيه) ثم أنشدته بيتًا فقال: (هَيه) حتى أنشدته مائة بيت.

فقد استحسن الرسول ﷺ شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث حتى قال ﷺ: (إن كاد ليسلم) وفى رواية: (فلقد كاد يسلم فى شعره) وفى الصحيح أيضًا أن الرسول ﷺ قال: (أصدق كلمة قالها شاعر: كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل).

وقد استمع الرسول ﷺ للشعر كثيرًا وأقره ودعا حسان بن ثابت للرد على شعراء قريش الذين يهجون الرسول ﷺ حتى حظى حسان بلقب: (شاعر الرسول) لكثرة شعره فى المديح النبوى وفى أيام المسلمين وأعيادهم ومواقف المؤمنين وأحداثهم..

ومن شعر حسان يرد على هجاء أبى سفيان قبل إسلامه:

ألا أبلغ أبا سفيان عنى ... مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا ... وعبد الدار سادتُها الإماء
هجوت محمدًا وأجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركًا برًا حنيفًا ... أمينَ الله شيمته الوفاء
فإن أبى ووالده وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء
لسانى صارم لا عيب فيه ... وبحرى لا تكدره الدلاء

وقد عفا الرسول ﷺ فى غزوة بدر عن شاعر عربى هو أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى لما وقع فى الأسر فأطلقه بلا فداء.. وعندما

جاء كعب بن زهير إلى الرسول ﷺ تائبًا ألقى قصيدة عصماء بدأها بالتشبيب على عادة العرب فى ذلك فقال:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

ثم قال:

نبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وعلى هذا فإن إنشاد الشعر وسماعه وحفظه جائز لا شىء فيه سواء كان شعر الجاهلية أم غيره..

وأما ما ورد عن أبى سعيد الخدرى من قوله: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعَرْج (وهى قرية على بعد ثمانية وسبعين ميلا من المدينة) إذ عرض شاعر يُنْشد فقال رسول الله ﷺ: (خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان لأن يمتلىء جوف الرجل قيْحا خير له من أن يمتلىء شعرًا). فالمراد به شعر الهجاء والفحش.. قال الإمام النووى: وأما تسمية هذا الرجل الذى سمعه ينشد شيطانًا فلعله كان كافرًا - أوكان الشعر هو الغالب عليه، أو كان شعره هذا من المذموم، وبالجملة فتسميته شيطانًا إنما هو فى قضية عين تتطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها ولا عموم لها فلا يحتج بها).

وعلى العموم فإن الشعر لون من ألوان التعبير، كسائر أنواع الكلام حسنه حسن وقبيحه قبح..

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ (يس: ٦٩) فالمقصود هو تأكيد معجزة القرآن العظيم، وأنه تنزيل رب العالمين وليس بخيال شاعر أو وهم أديب فأعذب الشعر أكذبه وكما قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦) وهذا ما يتنزه عنه قلب النبي ﷺ وعقله لأنه مرتبط بالحكمة الإلهية العليا.

النحت والتصوير والرسم

من الموضوعات التي أثارت جدلاً بين العلماء - حكم النحت والرسم والتصوير- وتساءل الناس قديمًا وحديثًا عن هذا الحكم الذي تعددت فيه الاجتهادات.. ونحن نستعرض النصوص الشرعية الواردة في التصوير، ونحاول فهم دلالتها، ونتعرف على رؤية الصحابة رضي الله عنهم لها وفتوى العلماء على ضوء منها..

أولاً: الملاحظة الجديرة بالاعتبار ابتداء هي أن العلماء الذين أفتوا بتحريم الصور عللوا ذلك بأنها كانت تعبد من دون الله.. وهذا التعليل محل نظر، فإن الناس قديمًا وحديثًا عبدوا أنواعًا شتى من دون الله ولم يقل أحد بحرمة الانتفاع بهذه الأنواع أو حرمة اقتنائها، وعلى سبيل المثال فإن الشمس والقمر والنجوم قد عبدت في

أزمان كثيرة، وحكى القرآن المجيد قول الهدهد لسليمان عليه السلام ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (النمل: ٢٤)، ولم يقل أحد: إن الانتفاع بالشمس حرام أو مكروه..!!، وعبد الناس حيوانات كالأبقار وغيرها، ومع ذلك فالأنعام خلقها الله لمنفعة البشر، وجعلها من دلائل قدرته، فقال جل شأنه: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ (النحل: ٥)، وقد ورد لفظ التماثيل في القرآن الكريم بمعنيين:

١ - معنى يلتقى مع الأوثان والأصنام فيراد منها جميعًا ما يعبد من دون الله كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٥٤﴾ (الأنبياء: ٥١-٥٤)

٢ - معنى يعبر عن الجمال والزينة، كما في قوله جل شأنه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝١٣﴾ (سبأ: ١٣) فالجن كانت مسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام لبناء القصور وإقامة التماثيل الجميلة وأدوات الطهى العجيبة، وطالب الله تعالى آل داود بشكر هذه النعم.. فلم تكن هذه التماثيل للعبادة وإنما للجمال والزينة.

ثانيًا: أن أحاديث صحيحة فى البخارى وغيره تشير إلى أن عذاب المصورين يوم القيامة مرتبط بما عبد من دون الله أو ما اتخذ استعلاء بالقدرة البشرية واستكبارًا بها، حتى يظن صاحبها أنه يخلق كما خلق الله ويصنع كما صنع الله..

ففى صحيح البخارى بسنده عن نافع أن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أخبره أن رسول الله قال ﷺ: (إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم). وفى حديث آخر قال: (أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله).

فالقضية هى مضاهاة خلق الله، والاغترار بقدرة الإنسان على المحاكاة، والاعتقاد بأن الإنسان يفعل كفعل الله..

هذا هو بيت القصيد وتلك هى الجريمة النكراء، ولذا استحق صاحبها أشد العذاب يوم القيامة.

وقد يكون من أسباب النهى والوعيد أن تحتوى الصور على معالم للشرك والكفر فلا يجوز حينئذ احترامها أو مزاولة تصنيعها. ففى صحيح البخارى بسنده عن عمران بن حطان أن عائشة رضى الله عنها حدثته أن النبى ﷺ لم يكن يترك فى بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه).

والتصاليب جمع صليب[1].

(١) سموا ما كانت فيه صورة الصليب تصليبًا تسمية بالمصدر، ووقع فى بعض الرويات (شيئًا فيه تصليب)، راجع فتح البارى جـ١٠ ص٣٨٥.

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح – أو العبد الصالح – بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله).

فالنهى عن التصوير مرتبط بهذه الكفريات أى اتخاذ الصور معبودات أو تعظيم ما يتنافى مع عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين.. فإذا نزعنا سلاحًا من أيدى المجرمين حتى لا يعبثوا فى الأرض فسادًا فلا يعنى أن ننزع سلاح المجاهدين فى سبيل الله، فالسلاح واحد ولكنه معصية متى استخدم للفساد وطاعة إذا استخدم للإصلاح.

ثالثًا: أن اتجاه بعض العلماء إلى تحريم تصوير ما له روح وإباحة ما ليس له روح، أو تحريم ما له ظل – هو اتجاه لا نقره، ولا نرى أن الحكم يختص بجانب دون آخر فإن قوله ﷺ فى الأحاديث السابقة: (أحيوا ما خلقتم) لا يعنى قصر الأمر على ما به حياة أو روح بل يعم كل شىء، ولو كان جمادًا. فالمراد من الأمر التعجيز بالإخراج والصنع من العدم، فهو أمر تهديد ووعيد كما فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ (فصلت: ٤٠)

ومما يؤكد هذا الذى ذهبنا إليه ما جاء فى صحيح البخارى بسنده عن أبى زرعة قال: دخلت مع أبى هريرة دارًا بالمدينة فرأى فى

أعلاها مصورًا يصور، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة..).

رابعًا: أن الأحاديث التي تدل على أن النبي ﷺ أمر بنزع الستر الذي علقته السيدة عائشة على الحائط لها سبب آخر غير القول بتحريم الصور يمكن حملها عليه واعتباره علة النهي.. ففي صحيح البخاري بسنده عن أنس قال: كان قرام[1] لعائشة سترت به جانب بيتها فقال لها النبي ﷺ: (أميطي عني فإنه لا يزال تصاويره تعرض لي في صلاتي). فالسبب هنا واضح وهو انشغال المصلي بهذه الصور التي رفعت على الحائط. وجاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ جذبه حين هتكه وقال: (إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين). فالسبب واضح أيضًا وهو الإسراف وكساء الجدر المبنية من الحجارة والطين بأقمشة ذات قيمة..

وكان رسول الله ﷺ أبعد الناس عن الترف، وهو الذي رفض أن يكون نبيًا ملكًا وأبى إلا أن يكون نبيًا عبدًا..

وفي مسند النسائي عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طير، مستقبل البيت إذا دخل الداخل، فقال رسول الله ﷺ: (يا عائشة حوليه فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا) قالت: وكان لنا قطيفة لها علم فكنا نلبسها فلم نَقْطعه).

(١) القرام بكسر القاف وتخفيف الراء هو ستر فيه رقم ونقش، وقيل ثوب من صوف ملون يفرش في الهودج أو يغطى به.

فعائشة رضى الله عنها كان لها ثوب به صور وكانت تلبسه كما هو ولم تقطعه بحيث تمحى الصورة أو يزال أثرها بل بقيت الصور كما هى..

ثم إن السيدة عائشة بعد هذا النهى جعلت الستائر وسادتين يجلس عليهما رسول الله ﷺ، فقد ظلت الصور موجودة لأن النهى ليس منصبًا على الصورة وإنما هو متوجه إلى معانى الترف والإسراف..

وهناك شبه إجماع على إباحة لعب الأطفال المجسمة، ففى صحيح البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبى ﷺ، وكان لى صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسر بهن إلىّ فيلعبن معى). ومعنى - يتقمعن أى يختبئن وراء الستر، ومعنى يسر بهن: ألا يرسلهن ويدعوهن إلى مشاركة عائشة فى اللعب بهذه المجسمات..

وفى حديث أخرجه أبو داود والنسائى عن عائشة قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، فكشف ناحية الستر على بنات لعائشة، فقال: (ما هذا يا عائشة؟) قالت: بناتى، قالت: ورأى فرسًا مربوطًا له جناحان، فقال: (ما هذا؟) قلت: فرس، قال: (فرس له جناحان؟) قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة؟ فضحك).

خامسًا: أن الأخبار فى بعض الأحاديث عن امتناع الملائكة عن الدخول فى البيت الذى فيه صورة له أكثر من محمل حسن: فالراد

بالصورة ما كان مضاهاة لخلق الله أو معبودة من دون الله أو منافية للآداب..

فالتخصيص فى الصورة وارد كما أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب، فالمراد بالكلب ما ليس مستثنى، فقد أجاز الشارع اقتناء كلاب الصيد والحراسة، وهذه الكلاب لا تمنع دخول الملائكة قطعًا.

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ﴾

(المائدة: ٤)

ومعنى (مكلبين) أى معلمين لكلاب الصيد..

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أمسك كلبًا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية). وفى رواية: (إلا كلب غنم أوحرث أو صيد).

وهناك من العلماء من خصص الملائكة بملائكة الوحى وأن ذلك من خصائص النبى ﷺ، ففى صحيح البخارى بسنده عن سالم عن أبيه قال: وعد جبريل النبى ﷺ فراث[1] عليه، حتى اشتد على النبى ﷺ، فخرج النبى فلقيه، فشكا إليه ما وجد فقال له: إنا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب. ويلزم من هذا التخصيص اختصاص النهى بعهد النبى ﷺ لأن الوحى قد انقطع، وبانقطاعه انقطع نزولهم..

(١) راث: أى بطأ.

وأخبر الرسـول عن صورة مفزعة لهؤلاء المتكبرين الذين يخرجون بالجمال عن مسـاره الفطرى فى التذوق والسرور إلى الكبرياء والغرور فقال: (بينما رجل يمشـى فى حلة تعجبه نفسـه، مرجل رأسـه، يختال فى مشـيته إذ خسـف الله به، فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة) (متفق عليه) ومعنى: يتجلجل يغوص وينزل.

obeikandl.com

الجمال الكونى

يلتفت المسلم إلى الكون ليرى آثار رحمة الله تنبعث بالجمال وتفوح بالسعادة للنفس الإنسانية..

وهذه الآثار مبثوثة فى كل الكائنات وعلى كافة الآفاق.

فالأرض تبوح بجمالها فى النبات البهيج والحدائق الغناء والماء الجارى والجبال الشامخات والطيور والأنعام والدواب.. ونقرأ فى النبات قول الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ (عبس: ٢٤-٣٢)

ونقرأ فى الحدائق الغناء قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (النمل: ٦٠)

ونقرأ فى الماء الجارى قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾ (النور: ٤٣)

وينسب هذا الرأى إلى ابن وضاح والداودى..

وذهب ابن حبان إلى أن عدم دخول الملائكة فى البيت الذى فيه صورة أو كلب خاص بالنبى ﷺ..

وجنح بعضهم إلى التخصيص فى الصفة أى لا تخل الملائكة بيتًا فيه صورة كدخولهم بيتًا لا صورة فيه، فالملائكة تدخل كل بيت لكن يختلف أثرهم الطيب المبارك باختلاف الصور[1].

سادسًا: من الصحابة والفقهاء رجال رفضوا هذا التعميم فى تحريم الصور، وفهموا من نصوص الشريعة ما يسمح بالتصوير وتعليق الصور فى حدود الآداب الشرعية..

ففى الصحيحين عن بُسْر بن سعيد، عن زيد بن خالد، عن أبى طلحة أن النبى ﷺ قال: (لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة) قال بُسْر: ثم اشتكى زيد فعدناه[2]، فإذا على بابه ستر فيه صورة، قلت: لعبيد الله الخَوْلانى: ألم يخبرنا زيد عن الصورة يوم الأول؟ قال عبيدالله: ألم تسمعه يقول: إلا رقمًا فى ثوب).

ونقل ابن أبى شيبة عن القاسم بن محمد - بسند صحيح - كما ذكر ابن حجر -أن ابن عون قال: دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة فى بيته، فرأيت فى بيته حجلة[3] فيها تصاوير القندس والعنقاء).

(١) راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر جـ١٠ ص ٣٨١.

(٢) العيادة زيارة المريض. (٣) الحجلة بفتحتين مكان يزين بالثياب والأسرة والستور.

وعلق ابن حجر قائلاً: يحتمل أنه تمسك فى ذلك بعموم قوله: (إلا رقما فى ثوب) فإنه أعم من أن يكون معلقًا أو مفروشًا.. ثم قال: والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة وكان من أفضل أهل زمانه وهو الذى روى حديث النمرقة[1] فلولا أنه فهم الرخصة فى مثل الحجلة ما استجاز استعمالها[2].

سابعًا: نقل الإمام ابن حجر حاصل أقوال العلماء فى حكم الصور، عن ابن العربى قال: إن الصور إن كانت ذات أجسام حرم بالإجماع، وإن كانت رقمًا فأربعة أقوال: الأول: يجوز مطلقًا على ظاهر قوله: (إلا رقمًا فى ثوب)، الثانى: المنع مطلقًا حتى الرقم، الثالث: إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم، وإن قطعت الرأس أوتفرقت الأجزاء جاز، وهذا هو الأصح، الرابع: إن كان مما يمتهن جاز وإن كان معلقًا لم يجز[3].

ونقول: إن الرأى الذى يفتى بحرمة الصور ذات الأجسام بالإجماع- منقوض بأن السيدة عائشة اتخذت المجسمات فى اللعب وكانت هذه المجسمات من ذوات الأرواح، وأقرها النبى ﷺ..

(١) النمرقة: فى النون الحركات الثلاث والراء مضمومة، والجمع نمارق وهى الوسائد التى يجلس عليها.

(٢) فتح البارى جـ١٠ ص٣٨٨.

(٣) فتح البارى جـ١٠ ص٣٩١.

المظهر الجمالى

- آية من آيات الله
- أزياء النبى ﷺ
- ملابس الرجال
- ملابس المرأة المسلمة
- لباس الحرير
- خاتم الذهب والمعادن

obeikandl.com

obeikandl.com

واختـــلاف الحكم فى رقم الثوب اختـــلاف لا اعتداد به لأنه مصادم للنص الصريح.. (إلا رقما فى ثوب).

ومســـألة قطع الرأس أو تفريق الأجزاء لا عبرة بها ما دامت الصور بعيدة عن الشرك ومعالم الكفر – كما وضحنا–.

ومســـألة الامتهان فـــى الصور أو عـــدم الامتهـــان لا نلتفت إليها فلايعنـــى تعليق الصورة التقديس لها، فالجمال والزينة والاحترام لها معان محمودة فإن الله جميل يحب الجمال.

obeikandl.com

obeikandl.com

آية من آيات الله

الإسلام حريص على أن يستر الإنسان عورته، ويتجمل بالثياب الحسنة، ويعد ذلك من الزينة الشرعية، قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأعراف/ ٣٢)

ونزلت هذه الآية الكريمة إبطالاً لما كان يحدث في الجاهلية، فقد حرموا بآرائهم الفاسدة ومعتقداتهم القبيحة مآكل ومشارب على الحجاج القادمين من الآفاق، وكان فريق من أهل مكة يرفضون ما يأتي به الحاج من خارج مكة لأنه لباس وطعام الخطيئة، ويقدمون للحجاج ملابس خاصة فإذا لم تف الملابس المعدة بعدد الحجاج القادمين اضطر بعضهم إلى الطواف حول الكعبة المشرفة وهم عراة، وكانت المرأة تطوف عارية وتجعل على فرجها شيئا تستره وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فهى تزعم أن كشفها لعورتها ليس دعوة إلى الفاحشة، وإنما هو استجابة لعادات توارثوها وعقائد تناقلوها دون وعى وبصيرة.. قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الأعراف/ ٢٨)

ومنذ بدء الخليقة وهبوط آدم وحواء إلى الأرض لعمارتها كان ستر العورة مطلبا إنسانيا لا يقل ضرورة عن المآكل والمشارب، وقد ظهرت العورة وبدت عقب أكل آدم وحواء من الشجرة المنهى عنها فى الجنة تحت وطأة وسوسة إبليس وإغرائه.. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأعراف/ ٢٢، ٢٣)

وجعل الله تعالى الثياب للتجمل والزينة وستر العورة آية من آيات الله تستحق الشكر والحمد لله عز وجل، فقال: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (الأعراف/ ٢٦)

فاللباس لستر العورة، والرياش هو التوسع فى اللباس بقصد الجمال والزينة.

وتوالت التشريعات الإلهية تحدد الإطار العام للابس الزينة والجمال، وصارت القاعدة الأساسية هى: كُلْ ما شئت، والبس

ماشئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة، هكذا قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما – حبر هذه الأمة..

فشأن المسلم الرشيد أن يتجنب الإسراف وهو مجاوزة الحد، ويتجنب المخيلة وهى الكبر، ويستشعر نعمة الله عليه فى اللباس.

ولهذا وردت أحاديث نبوية تعلمنا الدعاء عند ارتداء الثوب الجديد، ففى مسند الإمام أحمد قال:

لبس أبو أمامة ثوبا جديدا، فلما بلغ ترقوته قال: الحمد لله الذى كساني ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى، ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: إذا استجد ثوبا فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته[1]: الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى، ثم عمد إلى الثوب الخلق فتصدق به كان فى ذمة الله، وفى جوز الله، وفى كنف الله حيا وميتا..

وفى حديث آخر رواه الترمذى وصححه من حديث أبى سعيد: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه، عمامة أو قميصا أو رداء، ثم يقول: اللهم لك الحمد، أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له.

كما وردت أحاديث تحذر من التباهى بالثياب، وإظهار الكبرياء على خلق الله، ففى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: لا ينظر

(١)للإنسان ترقوتان. وهما العظمان المشرفان فى أعلى الصدر إلى طرف ثغرة النحر.

الله إلى من جر ثوبه خيلاء (وفى رواية: من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة).

والمراد نظر الرحمة فالإنسان المختال لا تناله رحمة الله، أما النظر بمعنى الرؤية فإن الله سميع بصير لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء..

أزياء[1] النبى ﷺ

ارتدى النبى ﷺ أزياء كثيرة ، وكان يتجوز من اللباس والبَسْط وهذا عنوان باب فى صحيح البخارى، ومعنى يتجوز يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه، أو لا يضيق بطلب النفيس والغالى بل يستعمل ما تيسر.. ولبس النبى ﷺ الأسود والأخضر والأبيض والأحمر، ولم يقتصر على لون واحد أو هيئة خاصة أو اتباع بلد بعينه، فلبس الجبة الشامية والجبة اليمنية وجبة الصوف، ولبس الإزار والرداء، ولبس الثياب الضيقة والواسعة..

والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة منها ما أخرجه البخارى بسنده عن أنس بن مالك قال: (كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية

(١) الزى بمعنى الهيئة والمنظر، يقال: لبس زى العلماء أو زى العرب أى على هيئتهم وشاكلتهم، واللباس فيه معنى الستر: والثوب ما يلبس

البرد من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مُرْلى من مال الله الذى عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء).

هـذا الحديث ذكره الإمام البخـارى ضمن مجموعة من الأحاديث تبين ما كان يلبسـه رسـول الله ﷺ، وبمطالعة شرح هذه الأحاديث نجد أن ملابس النبى الكريم كانت متعددة منها:

١ – البردة وهى كساء أسود مربع فيه صور، تلبسه الأعراب.

٢ – الشملة وهى ما يشتمل به من الأكسية أى يلتحف.

٣ – النَمِـرة وهى الشـملة التى فيها خطـوط ملونة كأنها أخذت من جلد النمر.

٤ – الحِبَرة – بوزن عَنبة – وهى برد يمانى لونها أخضر، تصنع من قطن وكانت أشرف الثياب عندهم، من التحبير وهو التزين.

٥ – الخميصة وهى كساء من صوف أسود أو خز، مربعة لها أعلام.

٦ – القَباء ثوب ضيق الكمين والوسط، مشقوق من خلف..

٧ – الرداء وهو ما يوضع على العاتق أو بين الكتفين من الثياب على أية صفة كان.

٨ – الإزار وهو ما يغطى أسفل البدن ويلف عليه[1].

(١)راجع كتاب اللباس فى فتح البارى جـ ١٠.

ومسألة التشبه بزى الكفار إنما يتعلق التحريم فيها بما كان خاصا بالكفار وشعارا للكافرين، أما اللباس الذى يشترك فيه الناس جميعا فلا حرمة فيه حتى ولو كان فى بدء أمره شعارًا للكافرين..

فالبرانس - نوع من غطاء الرأس - كانت من لباس الرهبان، وقد سئل الإمام مالك عنه فقال: لا بأس به، قيل: فإنه من لباس النصارى؟قال: كان يلبس ههنا.

وقال عبد الله بن أبى بكر: ما كان أحد من القراء إلا له برنس[1].

والطيلسان-نوع من غطاء الرأس - كان من شعار اليهود إلا أن هذا الشعار لم يعد وقفا عليهم، ونقل الإمام ابن حجر أن ذلك ارتفع فى زمنه فصار داخلا فى عموم المباح، وذكره ابن عبد السلام فى أمثلة البدع المباحة بل قد يصير من شعائر قوم فيصير تركه من الإخلال بالمروءة[2]..

وعلى هؤلاء الذين يفترون الكذب ويحرمون (البدلة) أو القميص والبنطلون بحجة مشابهة الكافرين أن يراجعوا أنفسهم فى فتاواهم الخارجة عن سماحة الإسلام ويسره وعالميته..

فليس معقولا أن يحرم الإسلام أزياء الشعوب وينقلهم إلى أزياء أخرى لم يألفوها..

---

(١) فتح البارى ج١٠ ص ٢٧٢

(٢) فتح البارى ج١٠ ص ٢٧٥

وعندما يحرص بعض الشباب المخدوع على ارتداء الجلباب الأبيض بدعوى أنه من السنة يكونون قد ضيقوا واسعا، وحملوا الدين أو زار فهمهم القاصر وفكرهم التافه..

وإذا وردت أحاديث فى فضل ثوب معين فلا ينفى فضل أثواب أخرى على غير شاكلته، فالنبىﷺيجيب السائلين بما يناسب كل واحد منهم، وليس ذلك على سبيل العموم الواجب، فقد أخرج أصحاب السنن (عليكم بالثياب البيض فالبسوها فإنها أطيب وأطهر وكفنوا فيها موتاكم) وفى رواية (إنها من خير ثيابكم).

فالثياب البيض ليست وحدها فى التفضيل بل هى على شاكلة ثياب كثيرة كلها طيبة وطاهرة فقد لبس النبىﷺأثوابا بجميع الألوان ولم يقتصر على لون واحد..

وإذا ورد النهى عن ثياب بعينها فلا يعنى التحريم مطلقا بل لعله مرتبط بواقعة حال لا تتعداها بل قد تكون تلك المرويات ضعيفة أوموضوعة على سبيل المثال فإن حديث (إن الشيطان يحب الحمرة وإياكم والحمرة) حديث ضعيف بل وصفه بعض العلماء بالأباطيل.. وهو مخالف لما جاء فى صحيح البخارى أن البراء رضى الله عنه قال: كان النبىﷺمربوعا[1] وقد رأيته فى حلة حمراء ما رأيت شيئا أحسن منه.

(١) ليس بالطويل البائن و لا بالقصير الشائن

ملابس الرجال

الزى هو عرف المجتمع، ولكل بيئة ما يناسبها، وليس للإسلام مواصفات خاصة للزى إلا ما كان مختصا بستر العورة فقط، أما كونه قطعة أو قطعتين، أو أبيض أو أسود، أو طويلا أو قصيرا، أو محليا أو مستوردا فكل ذلك متروك للعرف.

ونقل الإمام ابن حجر عن شيخه فى شرح الترمذى قال: ما مس الأرض منها خيلاء لا شك فى تحريمه، ولو قيل بتحريم ما زاد على المعتاد لم يكن بعيدا، ولكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به، ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك فى تحريمه وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل إلى جر الذيل الممنوع.. ونقل عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة، وعلى المعتاد فى اللباس من الطول والسعة[1].

وقال الطبرى:

الذى أراه جواز لبس الثياب المصبغة بكل لون إلا أنى لا أحب لبس ما كان مشبعا بالحمرة ولا لبس الأحمر مطلقا ظاهرا فوق الثياب لكونه ليس من لباس أهل المروءة فى زماننا، فإن مراعاة زى الزمان من المروءة ما لم يكن إثما، وفى مخالفة الزى ضرب من الشهرة[2].

(١ ، ٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١٠ ص ٢٦٢ ، ٣٠٦.

هـذه الكلمات مـن الإمام الطبرى صريحة وواضحـة فى أن الزى عرف مجتمع ينبغى الحرص عليه حتى لا يشذ المرء عن باقى أفراد مجتمعه، ويؤدى به ذلك الشذوذ إلى الشهرة والخيلاء..

إن هناك جدلا يـدور حول تقصير ثياب الرجال، ويحاول بعض الشـباب المخدوع اتخاذ هذا التقصير مبدأ أساسيا لقياس مدى صلاح المرء واسـتقامته، ويتهمون الأخرين بأنهم مسـدلون، وكأن الإسدال جريمـة نكراء تبـرأ منها المؤمنون الصادقون، ويسـتدلون بأدلة بتراء ويقفـون عند ظواهر بعـض النصوص ويغفلون عـن اجتهاد العلماء.. ويستشـهد هؤلاء المتنطعون بحديث رواه الإمام البخارى بسـنده عن أبـى هريرة رضـى الله عنه، عـن النبىﷺقال: (ما أسـفل[1] من الكعبين من الإزار ففى النار).

وبحديث أخرجه ابو داود والنسائى جاء فيه:

(وارفـع إزارك إلى نصف السـاق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة).

ونحن نرى أن المنهى عنه هو الخيلاء فقط سواء مع طول الثوب أم مع قصره، وليس القصر مرادا لذاته ودليلنا ما يلى:

١ – جاءت نصوص كثيرة تؤكد أن الخيلاء هى مناط العقوبة، ففى صحيح البخارى بسـنده عن أبى هريرة قال: قال النبىﷺ، أو قال

(١) أسـفل تقـرأ بالنصب والرفع فالنصب على أنه خبـر كان محذوفة. ويجوز الرفع أى ما هو أسـفل.

أبو القاسم – بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ جمته[1] إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة.

وفى حديث آخر: يروى أبو هريرة أن النبىﷺقال: لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا.

فأبو هريرة راوى هذه الأحاديث هو نفسه الذى روى حديث (ماأسفل من الكعبين فيحمل المطلق على المقيد كما هو معروف لدى جماهير العلماء.

٢ – أجاز النبىﷺ الإسدال ما لم يكن خيلاء، فعندما سمع أبوبكر رضى الله عنه أحاديث النهى عن جر الثوب خيلاء قال – كما فى صحيح البخارى–يا رسول الله إن أَحَدَ شِقَّىْ إزارى يسترخى إلا أن أتعاهد ذلك منه أى إذا غفلت عن شد إزاره فإنه يسترخى، فقال النبىﷺلست ممن يصنعه خيلاء.

٣ – جاءت أحاديث فى الرؤى لرسول اللهﷺ تجعل جر الثوب كمالا للبدن، ففى صحيح البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللهﷺ: بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علىّ، وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دونه، ومر علىّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: ما أولته يا رسول الله؟، قال: الدين.

فالرسول فسر القميص بالدين، فالقميص السابغ كمال للإنسان فى

(١) الجمة بضم الجيم وتشديد الميم مجمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين. وترجيل الشعر تسريحه ودهنه.

مظهره، والدين كمال للإنسان فى باطنه، ولولا أن القميص السابغ جائز شرعا ما شبه به الدين لأن الدين لا يشبه بالحرام.

٤ – ضرب رسول الله ﷺ مثلا فى الحث على الصدقة فقال – كما فى صحيح البخارى:

مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما[1] وتراقيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تَغْشى أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما هَمّ بصدقة قَلَصَتْ وأخذت كل حلقة مكانها، قال أبو هريرة: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بأصبعيه هكذا فى جيبه، فلو رأيته[2] يوسعها ولا تتوسع.

فالمتصدق تنبسط جبته حتى تغطى أصابعه، وقدميه، فلو كان ذلك حراما ما ضرب به مثل المتصدق وفضل الله فى ثواب الصدقات.

٥ – قد يكون من أسباب النهى عن الإسبال الإسراف فلا جدوى من إطالة الثوب حتى يجر على الأرض، والإسراف حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف : ٣١)

أو يكون النهى خشية تعلق النجاسة بالثوب، وفى حديث رواه النسائى والترمذى عن عبيد بن خالد قال: كنت أمشى وعلىّ برد

(١) ثديهما: بضم المثلثة على الجمع، وبفتحها على التثنية.

(٢) جواب لو محذوف تقديره لاتسعت والجيب فتحة الثوب على الصدر، والرسول ﷺ يقدم مثلا توضيحيا لضيق الجبة على صاحبها.

أجـره فقال لى رجل: ارفع ثوبك فإنه أنقى وأبقى، فنظرت فإذا هو النبـى ﷺ فقلـت: إنما هى بردة ملحاء [1] فقال: أما لك فىّ أسـوة؟ قال: فنظرت فإذا إزاره إلى أنصاف ساقيه.

وأيامـا كان فالعـرف هو الحكم فى هذه المسـألة، وكل ما خالف العرف الصحيح فهو شـذوذ وشهرة وكبرياء.. والإسلام لا ينفصل عن عادات الشعوب القائمة على محاسن الفطرة وفضائل السلوك..

ملابس المرأة المسلمة

يموج الشـارع الإسلامى بألوان شتى من الأزياء التى ترتديها المرأة المسلمة، ابتداء من الشورت والمينى جيب، ومُرورًا بالبنطلون وانتهاء بالخمار والنقاب، وهناك صور من المتناقضات تقع فيها بعض النساء، فأحيانًا نجد نسـاء يرتدين الخمار ويضعن المسـاحيق، ونجد نسـاء يغطين رءوسـهن ويكشـفن عن سيقانهن، ونجد نسـاء يلبسن طويل الثياب ولكنه خانق للبدن يكاد يتمزق..

ونريـد أن نضع كلمـة الحق أمام الجميع ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة..

إن المرأة المسلمة مخبر ومظهر، وعقيدة وسلوك، فعفاف المرأة يكمن فى نقاء القلب وطهارة السلوك، ولن يكون هناك نقاء فى القلب دون أن يظهر ذلك فى كلمة طيبة، وسلوك راشد، وزى وقور، وأدب جم..

(١) فيها خطوط بيض وسود.

وإذا كان رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). فقد يتصور البعض أن المظهر لا اعتداد به، وأن المدار على صلاح القلوب بالمعنى الداخلى فقط حتى ولو تناقض مع الظاهر.. وهذا وهم ومن خدع الشيطان.. فإن صلاح القلوب ينعكس إلى سلوك قويم، وإن حسن النية يستتبع حسن العمل، وإن المظهر مهم جدا فى شرع الله تعالى، فطهارة الثوب والمكان وستر العورة من شروط صحة الصلاة.

وقد أمرنا الله تعالى بالحفاظ على المظهر الطاهر النقى فقال تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ (الأعراف: ٣١)

وفى نداء كريم يتعلق بزى المرأة المسلمة يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾

(الأحزاب: ٥٩)

فهذا نداء إلهى عام للمؤمنات جميعًا بأن يلتزمن بأدب الزى الإسلامى حتى يعرفن بين الناس بأنهن عفيفات طاهرات فلا يتعرضن لأذى أثناء سيرهن فى الطرقات العامة، فإن المرأة الملتزمة بأدب السلوك الإسلامى تفرض الاحترام لها على الجميع حتى إن الفساق يخجلون منها، أما المرأة المتبرجة فإنها تثير الفتنة أثناء سيرها وتجعل الفساق يتعرضون لها ويطاردونها بالقول الخبيث والفعل الشائن..

فنحن -رجالا ونساء- فى حاجة إلى الالتزام بقيم الأخلاق والفضائل حتى نحافظ على طهارة المجتمع ونتعاون جميعًا على كلمة البر والتقوى..

مواصفات الزى الإسلامى

إن زى المرأة المسلمة أمام الأجانب يخضع لضوابط شرعية أهمها:

أولاً: أن يكون ساترًا لجميع بدن المرأة ما عدا الوجه والكفين، وهذا هو اختيار كثير من العلماء فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣١) فما ظهر منها هو الوجه والكفان حتى يكون للاستثناء معنى..

ثانيًا: أن إظهار الوجه والكفين يكون بالصورة الطبيعية التى خلقها الله عليها من غير افتعال فى لفت النظر إليهما، فوضع المساحيق على الوجه يتنافى مع عفاف المرأة المسلمة، وكذلك استعمال العطور والروائح أثناء خروجها أو وجودها أمام الرجال الأجانب.. وفى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (النور: ٣١)، نهى عن خروج المرأة متعطرة فيشم الرجال طيبها أى يخرجن متطيبات ليظهرهن ما خفى من هذه الروائح، وفى هذا التعبير الشريف أيضًا نهى عن ممارسة الرقص بجميع

ألوانـــه.. فإن الرقص كله قائم على ضربة الرجل أى حركتها بطريقة معينة.

وفـــى حديث رواه الترمذى قال رســـول الله ﷺ : (كل عين زانية وأيما امرأة اســـتعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا) يعنى ارتكبت جريمة نكراء..

ثالثًـــا: أن النقاب وهو ما يغطى الوجه لا نأمر به ولا ننهى عنه، فإذا أرادت امرأة أن تنتقب فلا حرج عليها، وإذا لم تنتقب فلا حرج عليها شرعا، وهناك شواهد كثيرة من حياة المسلمين الأولى فى عهد النبى ﷺ جاءت فى أحاديث صحيحة تدل على كشف الوجه.

منها حديث جابر يصف لنا صلاة العيد مع رسول الله ﷺ فيقول: شـهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغيـــر أذان ولا إقامة ثم قـــام متوكئًا على بلال فأمر بتقوى الله وحث علـــى طاعتـــه، ووعظ النـــاس وذكرهم ثم مضى إلى النســـاء فوعظهن وذكرهـــن فقال: تصدقن فإن أكثركن حطـــب جهنم فقامت امرأة من واسطة النساء ســـفعاء الخدين فقالت: لم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشـــكاة وتكفرن العشـــير، فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين فى ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن).

فقوله: (ســـفعاء الخدين) أى فى خديها تغير وســـواد، دلالة على أنّ وجهها كان مكشوفًا.

رابعًا: أن الزى الإسلامى للمرأة لا يجسم العورة ولا يشف عما تحته منعًا للفت الأنظار وحفاظًا على شرف المرأة من القيل والقال وتتبع الفساق.

كذلك فإن هناك نهيا شرعيا عن تشبه المرأة فى زيها بالرجال وفى صحيح البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، وفى رواية: لعن النبى ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم).

فلا يصح أن نصادق هؤلاء ولا أن يدخلوا بيوتنا حتى لا يفسدوا على الأسرة المسلمة استقرارها وأمنها وعفافها.

العورة لا تكشف ولا توصف:

من محاسن الإسلام غض البصر وستر العورة، فالمسلم أو المسلمة لايرسل النظر متتبعًا عورات الآخرين ولا يكشف عما يجب ستره من البدن.. قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣٠ -٣١)

وغض البصر وستر العورة هو الفطرة السوية التى يشرف بها الإنسان ويتسامى بها.. لكن البعض اليوم خرج على هذه الفطرة وتمرد

عليها فأطلق النظر وكشف عن العورات، وجاهر بالرذيلة وتمادى فى الفسق، وغوى وضل ضلالاً بعيدًا.

والعاقل من الرجال والنساء هو الذى يحاذر أن يقترب أدنى اقتراب من الفاحشة والزنا، فيغلق المنافذ التى يطل منها الشيطان.. وقد قال ﷺ: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه).

وذهب الإسلام أبعد من ذلك فنهى عن رؤية المرأة لصديقتها فى أوضاعها الداخلية التى تخص النساء ثم نقلها لتلك الرؤية بأوصافها إلى زوجها أو رجل أجنبى عن صديقتها، فهذا لون من الخيانة فلا يجوز لمسلمة أن تصف امرأة وصفًا دقيقًا إلى رجل أجنبى عنها لأنه يثير الشهوة وقد يدفع إلى تعقب هذه المرأة ومحاولة الاستمتاع بها فى غير ما أحل الله.

وقد جاء فى صحيح البخارى قول النبى ﷺ: (لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليه).

وقد يكون من حكمة هذا النهى الخشية من أن يعجب الزوج بأوصاف تلك المرأة فيفضى ذلك إلى تطليق الواصفة والزواج بالموصوفة. فينقلب الأمر على الواصفة بالضرر وعلى زوجها بالفتنة وعلى الموصوفة بالفضيحة. وكل ذلك منهى عنه شرعًا، فالمجالس بالأمانة، والعورات مصونة حسًا ومعنى.

لباس الحرير

لبـاس الحرير زينـة هى بالنسـاء أليق، فمن طبيعتهن التنشـئة فـى الحلية، قال تعالى فى معرض رده على المشـركين الذين جعلوا الملائكة بنات الله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

(الزخرف: ١٥، ١٨)

وكانت النسـاء على عهد رسـول الله ﷺ يلبسن الحرير وأقرهن النبى ﷺ ونصحهن بلبسه.

وثبت فى صحيح البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه رأى على أم كلثوم عليها السلام بنت رسول الله ﷺ برد حرير سيراء..

والبرد – بضم الباء – كساء يلتحف به، والسيراء – بكسر المهملة وفتح اليـاء والراء مع المد – نوع من الحرير الصافى مختلف الألوان فيه خطوط ممتدة..

وجاءت الروايات الصحيحة أن النبى ﷺ أعطى أصحابه حللاً من الحرير كى يكسوا بها نساءهم..

ففى صحيح البخارى ومسلم أن النبى ﷺ كسا على بن أبى طالب حلة سيراء فلبسها فرأى الغضب فى وجه رسول الله ﷺ وقال له:

إني لم أبعث بها إليك لتلبسها، إنما بعثت بها إليك لتشققها خمر بين النساء، وفى رواية (بين الفواطم)، والخمار غطاء الرأس، ويعنى بالفواطم فاطمة بنت الرسول زوج على بن أبى طالب، وفاطمة بنت أسد بن هاشم أم على، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، بنت عم علىّ.

وجاء النهى صريحًا عن لبس الحرير للرجال فى قوله ﷺ- كما رواه أصحاب السنن -: أخذ النبى حريرًا وذهبًا فقال: هذان حرامان على ذكور أمتى.. حل لإناثهم.

وجاء التهديد شديدًا لمن لبس الحرير من الرجال - فى صحيح البخارى - قال ﷺ: (من لبس الحرير فى الدنيا لن يلبسه فى الآخرة). ومع حرمة لبس الحرير على الرجال فإنه يجوز بيعه وشراؤه حتى ينتفع به من يجوز له لبسه، وذات يوم رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حلة سيراء تباع فقال - كما فى صحيح البخارى-: يا رسول الله لو ابتعتها تلبسها للوفد إذا أتوك والجمعة، قال ﷺ: يلبس هذه من لا خلاق له..

وبعد ذلك بعث النبى ﷺ إلى عمر حلة سيراء، فتعجب عمر وقال: كسوتنيها وقد سمعتك تقول فيها ما قلت، فقال ﷺ: إنما بعثت بها إليك لتبيعها أو تكسوها)، والمعنى لتصيب بها مالاً عند بيعها أو لتمنحها من يجوز له لبسها كالنساء..

وفى بعض الروايات أن عمر رضى الله عنه أعطاها أخا له بمكة مشركا.. وقد أخذ العلماء من هذا الحديث:

جـواز بيع الرجال الثياب الحريـر وتصرفهم فيها بالهبة والهدية لاالليـس، وفيه جواز صلة القريب الكافر والإحسـان إليه بالهدية، وقال ابن عبد البر: فيه جواز الهدية للكافر ولو كان حربيا[1].

وانعقد الإجماع على إباحة الحرير للنساء ولم يشذ عن ذلك إلافريق من الصحابة والتابعين وهم: على وابن عمر وحذيفة وأبو موسىٰ وابن الزبير والحسـن وابن سيرين[2].

ولعل بعض هؤلاء فهم النهى الوارد: على عمومه للرجال والنسـاء معًا ولم يستشعر الفرق بينهما. وقد تكون نسبة هذا الرأى إلى بعضهم ليسـت صحيحة. فعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أحد الشـهود الذيـن رووا هـذه التفرقة عن رسـول الله ﷺ كما سـبق فى حديث الفواطم..

أمـا حكم الحرير علـى الرجال فتعددت فيـه الآراء بين الإباحة والكراهة والتحريم..

والقـول بالإباحة كان فى أول الأمر ثم نسـخ، والقـول بالكراهة يتنافى مع الوعيد الشـديد فى حق لابس الحرير فيكون الأقرب إلى الصواب هـو القول بالتحريم لثبوت الأدلـة الصحيحة الصريحة فى ذلك..

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج١٠ ص٣٠١

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج١٠ ص٢٨٥

لكن العلماء استثنوا من التحريم ما كان علما أى تطريقا وتطريزا ونحوهما وقدروا ذلك بإصبعين أو ثلاثة أو أربعة، وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى عثمان قال: كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان أن النبى ﷺ نهى عن لبس الحرير إلا هكذا - وصَفّ لنا النبى- إصبعيه الوسطى والسبابة.

وفى بعض روايات مسلم: إلا موضع إصبعين أو ثلاثة أو أربعة.

وأجاز العلماء لبس المخلوط من الحرير وغيره، ما لم يكن الحرير غالبا، ونقل الإمام ابن حجر أن أكثر من عشرين صحابيا لبسوا الخز، وأن أبا داود والنسائى أخرجا أن صحابيا رؤى على بغلة وعليه عمامة خز سوداء وهو يقول: كسانيها رسول الله ﷺ، وأن ابن أبى شيبة أخرج عن أبى عمار قال: أتت مروان بن الحكم مطارف خز فكساها أصحاب رسول الله ﷺ..

والمراد بالخز هنا ثياب سَداها من الحرير ولحمتها من غيره، وقيل نسيج مخلوط من الحرير والصوف أو نحوه[1].

كما أجاز العلماء لبس الحرير إذا كان تخفيفا لعلة أو وقاية من الحر والبرد، حيث لا يوجد غيره، وقد جاء فى صحيح البخارى عن

(١) فتح البارى ج١٠ ص٢٩٥ والسَدى خطوط طولية فى الثوب واللحمة خطوط عرضية.

أنس رضى الله عنه قال: رخص النبى ﷺ للزبير وعبد الرحمن فى لبس الحرير لحكة بهما[1].

ويلحق باللباس الافتراش على الحرير، فهو حرام على الرجال لرواية حذيفة فى صحيح البخارى: نهانا النبى ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج[2] وأن نجلس عليه.

لكن بعض العلماء فرّق بين اللباس والجلوس فحرم اللباس وأجاز الجلوس. وقالوا إن لفظ (نهى) ليس صريحا فى التحريم فتظاهرت النصوص على تحريم اللباس ولم يرد مثل ذلك فى الجلوس..

وأجازوا الجلوس على الحرير إذا كان فراشًا للزوجة فإنه يباح للرجل أن يفترشها فى الفراش المباح لها، وليس معقولاً أن يفرق بين الرجل وزوجه فى الفراش، وكما يجوز للرجل معاشرة زوجة وعليها حلى الذهب فكذلك يجوز له معاشرتها والجلوس معها فى فراش الحرير الخاص بها[3]..

التختم بالذهب والمعادن

الخواتيم جمع خاتم، ويجمع على خواتم، ويقال فى المفرد بفتح التاء وكسرها.. وهناك أقوال للعلماء فى حكم خاتم الذهب:

(١) الحكة بكسر الحاء وتشديد الكاف نوع من الجرب والعياذ بالله.

(٢) نوع من الحرير وهو لفظ فارسى معرب. (٣) راجع فتح البارى ج١٠ ص٢٩٢.

لقد كان الذهب مباحا فى أول الأمر للرجال والنساء معا ثم نسخ ذلك فى حق الرجال دون النساء، وفى صحيح البخارى أن الرسول ﷺ اتخذ خاتما من ذهب وجعل فصه مما يلى كفه فاتخذه الناس فرمى به واتخذ خاتما من فضة..

وأخرج ابن أبى شيبة من حديث عائشة رضى الله عنها أن النجاشى أهدى للنبى ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب فأخذه وإنه لمعرض عنه ثم دعا أمامة بنت ابنته فقال لها: تحلى بها..

وجاء النهى الشرعى عن خاتم الذهب للرجال فى كثير من الأحاديث النبوية وحمله أكثر العلماء على الحرمة، ومن هذه الأحاديث:

١ - حديث البخارى بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنهما: قال: نهانا رسول الله ﷺ عن سبع: عن خاتم الذهب - أو قال - حلقة الذهب، وعن الحرير والاستبرق والديباج والميترة الحمراء والقس[1] وآنية الفضة، وأمرنا بسبع: بعيادة المريض واتباع الجنائز، وتشميت العاطس ورد السلام وإجابة الداعى وإبرار القسم ونصر المظلوم.

---

(١) الإستبرق والديباج أنواع من الحرير. واللفظ أعجمى معرب. والميترة نوع من الفرش والقس نوع من الثياب يؤتى به من مكان يسمى بالقس فى مصر والحرمة تثبت إذا كانا مصنوعين من الحرير الخالص.

٢ – فى صحيح مسلم بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لاوالله لا أخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ.

قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث: فيه المبالغة فى امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه، وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة، ثم إن هذا الرجل إنما ترك الخاتم على سبيل الإباحة لمن أراد أخذه من الفقراء وغيرهم، وحينئذ يجوز أخذه لمن شاء، فإذا أخذه جاز تصرفه فيه، ولو كان صاحبه أخذه لم يحرم عليه الأخذ والتصرف فيه بالبيع وغيره ولكنه تورع عن أخذه وأراد الصدقة به على من يحتاج إليه لأن النبى ﷺ لم ينهه عن التصرف فيه بكل وجه، وإنما نهاه عن لبسه وبقى ما سواه من تصرفه على الإباحة[1].

٣ – أخذ رسول الله ﷺ قطعتين من الذهب والحرير وقال: إن هذين حرام على ذكور أمتى: وفى رواية «حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى وأحل لإناثهم» رواه أصحاب السنن.

٤ – أخرج أحمد والطبرانى عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رفعه –: من مات من أمتى وهو يلبس الذهب حرم الله عليه ذهب

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج١٤ ص٦٥

الجنـــة والقائلون بالحرمة يحملونها علـــى القليل والكثير ولكن الإمام ابن دقيق العيد يقصر التحريم على ما هو فى قدر الخاتم وما فوقه أما ما هو دونه فليس حراما[1]..

وهنـــاك اتجاه فقهى يحمل النهى الشـــرعى على الكراهة لأن لفظ نهانا رسول الله أو نهى رسول الله ليس خاصا بالحرمة بل قد يشمل الكراهة التنزيهية كما أن لفظ «أمرنا» لا يعنى الوجوب بل قد يحمل على الندب فعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ليست من الواجبات العينية..

وقد جاء عن جماعة من الصحابة لبس خاتم الذهب مثل سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبى أسيد والبراء وغيرهم.

ومـــن المرويات فى ذلك ما أخرجه أحمد عن طريق محمد بن مالك قال: رأيت على البراء خاتما من ذهب فقال: قســـم رسول الله قسما فألبسنيه فقال: البس ماكساك الله ورسوله..

وكان الناس يقولون للبراء: لم تتختم بالذهب وقد نهى عنه رسول الله ﷺ فيذكر لهم هذا الحديث ثم يقول: كيف تأمروننى أن أضع ما قال رسول الله ﷺ: البس ماكساك الله ورسوله؟!

(١) أجاز القائلون بالحرمة اتخاذ أنف من ذهب وكذا الســـن والإصبع لحديث عرفجة بن أسعد قال: أصيب أنفى يوم الكُلاب (موضع معركة) فى الجاهلية فإتخذت أنفا من ورق (فضة) فأنتن فأمر لى النبى صلى الله عليه وسلم أن اتخذ أنفا من ذهب. رواه الترمذى

وقد أجاب العلماء عن موقف البراء بأن إسناد الحديث ليس بالصحيح أو أن البراء فهم الخصوصية له..

وبعض الصحابة استصحب الأصل الأول فى الإباحة ولم يبلغه النهى، فقد روى أن ابن مسعود قال لخباب الذى كان يتختم بالذهب: أما آن لهذا الخاتم أن يلقى؟! فقال له خباب: إنك لن تراه علىّ بعد اليوم.. فدل ذلك على أن النهى لم يكن قد بلغه..

وكان الإمام ابن حزم يتختم بالذهب ويفتى بإباحته لكن العلماء بعده مجمعون على خلافه[1]..

هذا ويجوز للرجل التختم بما سوى الذهب غلا ثمنه أو رخص، فالفضة وسائر المعادن جائزة، وقد ثبت أن النبىﷺ اتخذ خاتما من فضة ونقش عليه «محمد رسول الله» ، كما ثبت أن النبى ﷺنصح طالب الزواج الذى لا يجد صداقا أن يلتمس ولو خاتما من حديد، فلو لم يكن خاتم الحديد جائزا ما أرشد النبى إلى التماسه.

وكان خاتم النبىﷺفى الخنصر من يده اليسرى مرة ومن يده اليمنى مرة أخرى، وهناك نهى تنزيهى عن وضع الخاتم فى السبابة والوسطى بالنسبة للرجال فقط لحديث على بن أبى طالب رضى الله عنه – فى صحيح مسلم: نهانى النبىﷺ أن أتختم فى إصبعى هذه أو هذه، وأومأ إلى الوسطى والتى تليها..

(١) راجع فتح البارى شرح صحيح البخارى ج١٠ ص٣١.

ولا حرج على النساء فى التختم فى أصابع اليدين كلتيهما.

وقد نقل الإمام النووى حكم هذه المسألة برمتها فقال:

أجمع الفقهاء على جواز التختم فى اليمين وعلى جوازه فى اليسار ولا كراهة فى واحدة منهما، واختلفوا أيهما أفضل، فتختم كثير من السلف فى اليمين وكثيرون فى اليسار، واستحب مالك اليسار وكره اليمين[1]، وفى مذهبنا (الشافعى) وجهان لأصحابنا، الصحيح أن اليمين أفضل لأنه زينة واليمين أشرف وأحق بالزينة والإكرام[2]..

وأخيرا: فإن الإسلام لا يمنع إعطاء النفس حظوظها من غير إسراف ولا كبرياء فالملابس الجميلة والمآكل الشهية والمشارب اللذيذة لا حرج فيها ولا حرمة فى تناولها ما لم تكن من حرام أو تدفع إلى حرام وما دامت فى إطار الاعتدال..

ومع ذلك فالإسلام حريص على أن تظل الرجولة فى قوتها الرحيمة، بعيدة عن الرخاوة والتخنث والانحلال، ولذلك حرم الإسلام الذهب والحرير على الرجال وخصهما بالنساء، لأن النساء من طبيعتهن التنشئة فى الحلية والحرص على النعومة.. كما يمكن تصور حكمة التحريم حتى لا نضيق على النقد الذهبى وأثره فى حركة الاقتصاد العالمى..

(١) لأن حركة اليمين أسهل فيمكن تناول الخاتم بها ووضعه فى الأخرى.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٤ ص٧٢.

حماية الجمال

إن الجمـال فى نور الإيمان نعمة يجعـل النفس لؤلؤة صافية كأنها كوكب درى..

والجمال الشـريف يحمـى الأعراض ويصون الأنسـاب ويأبى أن يكون سـلعة تخضع للعرض والطلب، ويأنف أن يتحول إلى خنجر يطعن القيم والأخلاق..

والجمال الذى يدفع إلى التسـول الجنسـى والعبـث بالأعراض وانتهاك الحرمات هو جمال دنئ وحقير تعقبه حسـرات وحسرات، ولقد كان البغاء حرفة تمارسـها الإماء تحت وطأة الحاجة والفقر فى المجتمـع الجاهلـى، لكن وجد هناك من يقول: أمـا الحرام فالممات دونه..!!

قالها عبد الله بن عبد المطلب عندما تعرضت له امرأة..!!

وهناك من قالت: أوَ تزنى الحرة؟!

قالتها هند بنت عتبة بلسـان الفطرة وهى تبايع رسـول الله ﷺ بيعة النساء.

فمـا بالنا اليوم فـى مجتمع الحضارة والصـاروخ وأبحاث الفضاء والانترنت يصبح البغاء حرفة السـادة المترفين ويمارس بين الطبقات صاحبة الملايين؟!.

لقد حرص الإسلام على عفاف المرأة وفضيلة الأسرة فشرع أمورًا تصون هذا العفاف وتحافظ على تلك الفضيلة.

فالخلق الإسلامى يأبى الكلمة الخاضعة بين الرجل والمرأة، تلك الكلمة التى تثير الفتنة وتصف العورات وتخوض فى الأعراض وتقود إلى مهاوى الرذيلة، قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ (الأحزاب/ ٣٢)

ويرفض الخلق الإسلامى النظرة الفاحصة الخبيثة لعورة الرجل أوالمرأة قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣٠، ٣١)

وفى صحيح البخارى أن النبى ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه».

فالإنسان العاقل يجاهد نفسه ويكبح جماح شهواته حتى لا يصل إلى الهاوية.. وفى هذا الإطار نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة بالأجنبية، حتى لا يكون الشيطان ثالثهما، فقال ﷺ – كما رواه

البخـارى-: (إياكـم والدخول على النسـاء) فقال رجل: يا رسـول اللـه، أفرأيت الحمو؟ قال: (الحمو المـوت)، والحمو: قريب الزوج أو الزوجة غير المحرم كأخيه وابن عمها وابن خالها.. فهذا القريب غيـر المحرم قـد يتخذ من قرابته متكئًا للدخـول والخروج فى غيبة الزوج، فيسوّل لهما الشيطان ويملى لهما..

وقد لعن النبى ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النسـاء، وقال - كما فى صحيح البخارى -: (أخرجوهم من بيوتكم).

فالعاقـل إذا وجد مخنثًـا يصاحب ابنه، أو وجـد بنتًا أو امرأة مترجلة تدخل بيته، فعليه أن يمنع دخول هؤلاء ولا يقر مصاحبتهم لأهل بيته.

وحرص الإسـلام على نقاء جو الأسرة، فشرع حد القذف لمن يطلق لسانه على عورات المسلمين ظلمًا وزورًا، فقال الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ (النور: ٤).

فأوجـب الله تعالى على القاذف - إذا لـم يقم البينة على صحة ماقال - ثلاثة أحكام هى:

١ - أن يجلد ثمانين جلدة. ٢ - أن ترد شهادته أبدًا.

٣ - أن يكون فاسقًا ليس بعدل عند الله وعند الناس.

وجعل الرسـول ﷺ الاعتداء الفاحش علـى امرأة الجار من أعظم الذنب، فقد سـأله أحد الصحابة - كما فى صحيح البخارى -: أى

الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نـدًا وهو خلقك)، قال: ثم أى؟ قال: (أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك)، قال: ثم أى؟ قال: (أن تزانى حليلة جارك).

فالزنا كله جريمة وفاحشـة، لكن أن يقـع بين الجيران ولا يأمن بعضهـم بعضا، ويتحين كل منهما غيبـة الآخر ليخونه فى عرضه، فتلك جريمة الجرائم..

وقد شـدد الإسلام فى صحة النسـب حتى ينسب كل إنسان إلى أبيه وأمه اللذين التقيا باسـم الله وعلى كلمة الله، فإن حملت المرأة سـفاحًا ونسبت طفلها إلى زوجها وألحقت بنسبه من ليس منه، فقد حرم الله عليها الجنة، فإن النسـب فى الإسلام يترتب عليه أحكام شرعية وحقوق وواجبات كالميراث والنفقات والنكاح.

وفى صحيح البخارى أن النبى ﷺ قال: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام).

وفى سـنن أبى داود أن النبى ﷺ قـال: (أيما امرأة دخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله الجنة، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين).

إننـا إذا وصلنا إلى تلـك المرحلة الخطيرة فقد جعـل الله عقوبة زاجرة لكل المتمردين على قيم الحياة الشريفة، الذين يلتمسون المتعة

الحرام فى غير ظل الله، فشرع الإسلام الرجم حتى الموت لكل من الرجل والمرأة اللذين يخونان الحياة الزوجية ويرتكبان الفاحشة.

وفى صحيح مسلم بسنده عن أبى هريرة أنه قال: أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو فى المسجد، فناداه فقال: يا رسول الله، إنى زنيت فأعرض عنه، فتنحى تلقاء وجهه فقال له: يا رسول الله، إنى زنيت، فأعرض عنه حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله ﷺ فقال: (أبك جنون؟) قال: لا، قال: (فهل أحصنت؟) قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: (اذهبوا به فارجموه).

لقد قدم الرجل واعترف على نفسه بالزنا وظل متمسكًا بإقراره، وأكد أن هذا الإقرار صادر عن وعى كامل..

وهذا الإقرار كان يقدمه المسلم أو المسلمة عن اقتناع بأن فضيحة الدنيا أهون من فضيحة الآخرة، وأن التوبة الصاحبة لإقامة الحد الشرعى هى قمة التطهير البدنى والروحى..

وفى تفصيل دقيق لهذا المعنى جاءت رواية فى صحيح مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، طهرنى، فقال: (ويحك)، ارجع فاستغفر الله وتب إليه). فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله، طهرنى، فقال رسول الله ﷺ: (ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه).. فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرنى، فقال النبى ﷺ

مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: (فيم أطهرك؟) فقال: من الزنا. فسأل رسول الله ﷺ: أبه جنون؟ فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال: أشرب خمرًا، فقام رجل فاستنكهه[1] فلم يجد منه ريح خمر، فقال رسول الله ﷺ: (أزنيت؟) قال: نعم. فأمر به فرجم، فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة.. فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال: (استغفروا لماعز بن مالك). فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، فقال رسول الله ﷺ: (لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم).

وتكرر الموقف مع المرأة الزانية.. ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت نبي الله وهي حبلى من الزنا، فقالت: يا نبي الله، أصبت حدًا فأقمه عليّ، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: (أحسن إليها)، فإذا وضعت فائتني بها، ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ فشكت عليها ثيابها (بحيث لا تنكشف عورتها)، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها. فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟! فقال: (لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى).

(١) أي شم رائحة فمه.

وإذا كان الرسول ﷺ حانيًا، فى هذا الموقف مع الزانى أوالزانية اللذين قدما باكيين يريدان إقامة الحد والموت، عسى الله أن يرحمهما فى الآخرة، إلا أن الموقف حين يتطلب الحزم ومطاردة الفحشاء والمنكر نجد أن رسول الله ﷺ يغضب لله غضبًا شديدًا..

فى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: أتى رسول الله ﷺ برجل قصير أشعث ذى عضلات، عليه إزار وقد زنى، فرده مرتين ثم أمر به فرجم. فقال رسول الله ﷺ: (كلما نفرنا غازين فى سبيل الله تخلف أحدكم ينب نبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة (القليل من اللبن)، إن الله لا يمكنى من أحد منهم إلا جعلته نكالاً).. وفى رواية: (أو كلما انطلقنا غزاة فى سبيل الله تخلف رجل فى عيالنا له نبيب كنبيب التيس، علىّ ألاّ أوتى برجل فعل ذلك إلا نكلت به)..

إن الرجم رحمة بالمجتمع يحميه من الذئاب البشرية التى تنتهك الأعراض. وتئد القيم، وتقطع الأرحام، وتعيث فى الأرض فسادًا..

إن البعض قد يمارى فى مشروعية الرجم بشبهة أنه ليس فى القرآن المجيد، ونسى أن الرسول ﷺ أعطى القرآن ومثله معه، وأن قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره تشريع، ولقد نبه عمر بن الخطاب إلى خطورة هذه الشبهة فقال وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ - كما رواه مسلم -: إن الله قد بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها،

فرجم رسول الله ﷺ ورجمْنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم فى كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف.

هذا وإن كان الزانيان بكرًا لم يسبق لهما الزواج الصحيح فحدهما الجلد مائة جلدة، ويجوز تغريبهما لمدة عام عن موطن الفاحشة، قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢)

ولقد نهانا الله تعالى أن نشفق على هؤلاء الذين دنسوا شرف الحياة، فإن حاجة المجتمع إلى الطهر والنقاء أشد من حاجته إلى الماء والطعام، فما قيمة الحياة بغير الكرامة؟ وما قيمة المرء بغير العرض الشريف؟

والعلانية فى تطبيق الحدود ضرورة اجتماعية، لأنها أبلغ فى الزجر وأنجع فى الردع وأشد تنكيلاً.

المؤلف فى سطور

دكتور/ محمد سيد أحمد المسير

- أستاذ العقيدة والفلسفة – كلية أصول الدين – جامعة الأزهر بالقاهرة.
- أعير أستاذًا مشاركًا ثم رئيسًا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى كلية التربية–فرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة النورة ١٩٨٣ – ١٩٨٧م.
- أعير أستاذًا للعقيدة والأديان فى كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٩٣–١٩٩٨م.
- انتدب للتدريب فى كليتى التربية والعلوم – جامعة قناة السويس بالإسماعيلية على مدى ربع قرن..
- يقوم بالتدريس فى دورات معهد الإذاعة والتليفزيون بوزارة الإعلام، ودورات تدريب الأئمة بوزارة الأوقاف.
- عمل مستشارًا لوزير الأوقاف المصرى ١٩٩٢م.
- شارك فى عضوية لجنة اختيار قراء القرآن الكريم بالتليفزيون المصرى سنة ١٩٩٢م.
- شارك فى لجان الاختبار لجائزة الملك فيصل العالمية.
- عمل عميدًا لمعهد الدعاة بالمطرية التابع للجمعية الشرعية بالقاهرة.
- يشارك فى عضوية الجمعية الفلسفية المصرية.
- حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف فى الشهادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة – كلية أصول الدين بالقاهرة ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.
- حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م.
- شارك فى العديد من المؤتمرات المحلية والدولية فى كل من: القاهرة – مكة المكرمة – مسقط – أبو ظبى – بغداد – الكويت– بيروت – طهران – موسكو.